

روح المعاني

من هذه الآية لا يماها إلى أن من لا يتوكل على الله تعالى ليس بمؤمن وهي على ما قال الطبيب : كالخاتمة والفضل لما تقدم وكالمخلص إلى مشرع آخر .

يا أيها الذين آمنوا إن أزواجكم وأولادكم عدوا لكم أي إن بعضهم كذلك فمن الأزواج أزواج يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الأولاد أولادا يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والأذى وقد شاهدنا من الأزواج من قتلت زوجها ومن أفسدت عقله بإطعام بعض المفسدات للعقل ومن كسرت قارورة عرضه ومن مزقت كيس ماله ومن وكذا من الأولاد من فعل نحو ذلك فاحذروهم أي كونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم والضمير للعدو فإنه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى : فإنهمعدو لي المأمور به الحذر عن الكل أو للأزواج والأولاد جميعا فالمأمور به الحذر عن البعض لأن منهم من ليس بعدو وإما الحذر عن مجموع الفريقين لاشمالهم على العدو وإن عفوا عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن كون معلقة بأمور الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة بأن لم تعاقبهم عليها وتصفحوا تعرضوا بترك الترتيب والتعيير وتغفروا تستروها بإخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فإن الله غفور رحيم .

14 .

- قائم مقام الجواب والمراد يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم فإنه D غفور رحيم ولما كان التكليف ههنا شاقا لأن الأذى الصادر ممن أحسنت إليه أشد نكاية وأبعث على الانتقام ناسب التأكيد في قوله سبحانه : وإن تعفو الخ وقال غير واحد : إن عداوتهم من حيث أنهم يحولون بينهم وبين الطاعات والأمور النافعة لهم في آخرتهم وقد يحملونهم على السعي في اكتساب الحرام وارتكاب الآثام لمنفعة أنفسهم كما روي عنه صلى الله عليه وسلم يأتي زمان على أمتي يكون فيه هلاك الرجل على يد زوجته وولده يعيرانه بالفقر فيركب مراكب السوء فيهلك .

ومن الناس من يحمله حبهم والشفقة عليهم على أن يكونوا في عيش رغد في حياته وبعد مماته فيرتكب المحظورات لتحصيل ما يكون سببا لذلك وإن لم يطلبوه منه فيهلك وسبب النزول أوفق بهذا القول .

أخرج الترمذي والحاكم وصحاه وابن جرير وغيرهم عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم الخ في قوم من أهل مكة أسلموا وأرادوا أن يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا الناس قد فقها في الدين هموا أن يعاقبوه فأنزل الله تعالى الآية

وفي رواية أخرى عنه أنه قال : كان الرجل يريد الهجرة فيحبسه امرأته وولده فيقول : أما
واﷻ لئن جمع الله بيني وبينكم في دار الهجرة لأفعلن ولأفعلن فجمع اﷻ D بينهم في دار
الهجرة فأنزل اﷻ تعالى يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم الآية .
وقيل : إنهم قالوا لهم لئن جمعنا اﷻ تعالى في دار الهجرة لم نصبكم فلما هاجروا
منعواهم الخير فنزلت وعن عطاء بن أبي رباح أن عوف بن مالك الأشجعي أراد الغزو مع النبي
صلى اﷻ عليه وسلم فاجتمع أهله وأولاده فثبطوه وشكوا فراقه فرق ولم يغز ثم إنه ندم فهم
بمعاقتهم واستدلبها على أنه لا ينبغي للرجل أن يحقد على زوجته وولده إذا جنوا معه
جناية وأن لا يدعو عليهم إنما أموالكم وأولادكم فتنة أي بلاء